مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 03، سبتمبر 2021، صص: 07- 26

تاريخ الاستلام(2021/05/12) تاريخ القبول (2021/06/09) تاريخ النشر (2021/09/30)

أثر الحجاج بين رهانات اللفظ ومحورية المعنى

The effect of pilgrims between the pronunciation bets and the centrality of meaning

بن فريحة عبد الصمد

جامعة ابن خلدون ـ تيارت(الجزائر)، benfriha.abdessamed2014@gmail.com

ملخص:

...الحجاج موضوع دقيق، يعتمد التفكير الإنساني، يعمل أساسا ضمن محيط اللسانيات، مجاله اللغة، البلاغة، يداهم الحجة بالحجة والدليل، تقبُّل الكلام الإقناعي، فهم تأويل، رد فعل، اتخاذ بُعدِ التصور، أساس ارتباط الحجاج لإحداث التأثير المؤدي إلى الفعل، المناظرات، المساجلات، اتخاذ المنهج العقلي أساسا لذلك، الخطاب الحجاجي يعتمد مواقف حجاجية تتمثل في المناظرات، مختلف آليات المساهمة في سبك الخطاب الحجاجي من خلال أبرز الأدوات الحجاجية المتصلة بالجانب المفاهيمي وبالحجج والعلائق التي تربطه بالحقول المعرفية المجاورة له، أساس علومه المنطق، الخطابة، فلسفة اللغة، علم الاجتماع، التداولية، نحو النص، البرهنة والاستدلال، دحض الحجة بالحجة، محاولة إثبات الصورة المتوقعة في ذهن المتلقي بواسطة البرهنة والإقناع والاستدلال وصحة الوقائع للوصول إلى المقاصد، بغية إحداث التأثير في ذهن المتلقي وحمله على الإذعان له، الحجاج هو ذلك الكلام القوي، المؤثر في المخاطبين بغية دفعهم إلى الإذعان لذلك الفعل الذي تصاحبه الأدلة القوية المؤثرة.

كلمات مفتاحية: الحجاج، التأثير، الدليل، المعنى، التحليل، الاستدلال، الاستلزام، دحض.

المؤلف المرسل: بن فريحة عبد الصمد، الإيميل: benfriha.abdessamed2014@gmail.com

Summary:

...Pilgrims are a delicate subject, adopting thinking, listening, working mainly within the vicinity of linguistics, its field of language, eloquence, their argument with argument and evidence, accepting speech mask, understanding interpretation, reaction, taking after perception, the basis of the association of pilgrims to effect the effect leading to action, debates, massage The pilgrim syllabus, taking the mental approach as a basis for that, the hajji discourse adopts the positions of pilgrims represented by debates, various mechanisms of contribution to the casting of the hajjis discourse through the most prominent pilgrims related to the conceptual aspect and the arguments and relation shavings that link it to the fields of knowledge adjacent to it, the basis of its sciences logic, oratory, philosophy Language, the science of the apothecary, the deliberative, towards the text,the refutation of the argument by the argument, the attempt to prove the expected image in the mind of the recipient by demonstrating and convincing and the validity of the facts to reach the purposes, in order to influence the mind of the recipient and get him to bear him, pilgrims is that strong speech, which influences the addressors in order to reason to be in the hands of that act accompanied by the strong and influential arrogance .

Keywords:

Pilgrims, influence, evidence, meaning, analysis, inference, binding, refutation.

1.مقدمة:

لا شك أنّ مصطلح الحجاج يتداخل مع مصطلحات أخرى خاصة البرهنة والاستدلال، وذلك بحكم أن الخطاب الطبيعي يعد خطابا غير برهاني لأنه لا يخضع لمبدأ الاستنتاج المنطقي ولذلك فما نجده في الخطاب أو في اللغات الطبيعية هو الحجاج الذي هو منطق اللغة بل هو تصور من التصورات الممكنة لهذا المنطق الذي يحكم اللغة الطبيعية، فالحجاج يفرض على الخطاب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسيّر الحوار.

لذلك فالقيم الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام تَعْلَقُ بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره، فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهذا يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وعليه فإن الحجاج يُعد فعلا لغويا موجها إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة منطقية عملية.

2-الحجاج ضرورة أساسية لمعرفة كينونة النص:

2-1البرهنة والاقناع أداة لتحقيق قوة الحجاج:

يعد الحجاج موضوعا دقيقا، لأنه يمثل مجالا واسعا من اللغة في شقها البلاغي بالخصوص، فهو نظرا لقوة دلالته يداهم الحجة كيف ما كانت، وحيث كانت لأنه بذلك يستهدف الإقناع بالدليل والحجة، ويعمل على تطهير المتلقي من وساوس التأويل، فالحجاج علم متجذر في التفكير الإنساني منذ امتهن الإنسان فن الكلام، فبه تتسلح الفلسفة والبلاغة والنحو، وما إلى ذلك من فنون الكلام التي تتوخى الإقناع والتأثير، بإقامة الحجة والدليل، وعموما فإن وجهة النظر التي ينهض عليها هذا العلم ليست لغوية أو قلّ ما تكون كذلك، فهي وجهة نظر تدمن درس الإنتاج القولي في عمقه وأعلاه، وكذلك لمعرفة مقامات التواصل في شروطها وتقبل الكلام الإقناعي في آليات فهم-تأويل-رد الفعل. ولن نندهش ونحن في مُوَقَّى هذا التحليل الوجيز من أن نستخلص نتاج وجود آليات مصطلحية ثرية جدا في رحاب الحجاج، الذي بحكم سعته قد يتضح من خلالها أن المصطلحات نفسها تحيل على مفاهيم وتختلف حسب الزاوية النظرية التي تحدد تلك المفاهيم، فمن كل ذلك قد نجد مصطلحات من نحو: حجاج، برهنة، استدلال، إقناع، إفحام، شرح، استلزام، تبرير، دحض[1]. إننا من أجل هذه التوليفات والمفاهيم والإدراكات نقول: إن الحجاج بقدر ما هو مألوف كممارسة، وحاضر في كل أنشطتنا اليومية بقدر ما هو منفلت ومستعص على الإحاطة والتعريف حيث نصادفه في الحوارات والمساجلات بين الأفراد، خاصة على صفحات الجرائد وفي البرامج، ومختلف الأنشطة الإذاعية والتلفزية كما نلمسه في النصوص والعروض الإشهارية، وحتى في المجلات وكذا اليوميات المتخصصة[2]. وفي حالة إذا عمدنا إلى اتخاذ مقاربة التفكير القديم لوضع تحديد أولي لمفهوم الحجاج، تواجهنا نظرتان أساسيتان هما:

1-الحجاج مجموعة من الحجج أو الاستدلالات، والتي كلها تتجه نحو النتيجة نفسها، وهي في هذا الحال دليل إثبات يقيني.

2-إلى جانب ذلك فهي إشارة إلى الشك، لأن المُرسَل يفترض مسبقا أن مجال التفاهم والاتفاق بينه وبين المرسل إليه معطل مؤقتا، ينبغي توضيحه بكل صراحة، وذلك بإقامة الدليل المناسب، ولكن هناك سؤال مهم ينبغي الإشارة إليه، -صيغته- هل نعتبر الحجاج تقنية وأداة معزولة عن السياق وعن المتكلمين، أو أن الحجاج مجال للشبيه والمحتمل،

وميدان لتفاعل الذات؟[3] وبالتالي فليس عجابا أن يحاول المرسِل تفعيل الحجاج ويثيره في جميع صوره: بالتبرير، الشرح، الإقناع، الدحض، فهو قد يكون في ريب من حججه أمام المتلقي العنيد دوما، فيمارس النظرة الأولى ويحاول إثبات النتيجة المتوقعة في ذهن المتلقي، أو قد يستجيب لما قد يتوقعه أو يتطلع إليه، وذلك لما قد يظهر له من برهان واستدلال، بحكم أن الأساليب القولية أو الفعلية، قد تؤدي إلى الاضطراب النفسي ثم الفعلي، لذلك يستوجب على المتلقي أو المُرسَل إليه أن يكون في موقع قوة، بأن يستشهد بوقائع قوية قدر الإمكان، من أجل إثبات النتيجة لمتلقيها، وقد يقتضي هذا الفعل أن يموت المُرسَل أمام المُرسَل إليه، ويخرج من سجن نصه، لأن المرسل إليه سيحتفظ بالنص ويُنتج معاني شبيهة بتلك التي قال بها المرسَل، وفي الحق إنه "آن الأوان لفسح المجال أمام الذات المتلقية لتشغل شغلا فاعلا في إنتاج الأدب، والمتلقي بفاعلية الفهم قادر على تشقيق وجوه لا نهائية لمعنى النص لإعادة بنائه وإنتاجه وتلقيه"[4].

فهذا يعني أن القارئ المتلقي سيشارك في تحليل الحجة المدفوعة إليه، وقد يتجاوز فيها القائل بها، وهذا بسبب كونه متحررا وليس ثمة لديه ما يعطل أو يبطل دلالات الفهم، لا شك أن أغلب الناس وفي كثير من الأحيان قد يثيرون سؤالا بديهيا خاصة في تبادلاتهم التخاطبية، ماذا تقصد بخطابك هذا؟ أو ماذا تعني بكلامك هذا؟ ولذلك قد يلجأ البعض إلى تجنب مثل هذا السؤال المفترض فيعمد "طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والعبارات مسبقا خصوصا عند سن القوانين أو الأنظمة، وكذلك النقاشات والحجاج، وذلك لينطلقوا من قاعدة واحدة، فتكون مرجعا لهم عند الاختلاف، بل قد يستعملها أي منهما حجة ضد الطرف الآخر، وذلك عند الاختلاف أو محاولة التملص[5]، فالمرسل والمرسل إليه كلاهما يقوم بعملية التفكيك أو بغرض إعادة تصميم البناء، وقد تكون هذه الآلية التي يستخدمها المرسِل هي التي تخدم قصده.

فهو قد يحاول أن تكون الدلالة محصورة في أفق ضيق لا يفقهها سوى المرسل إليه المقصود بالخطاب، وهذه الآلية تسمى بـ"آلية التشفير"[6] -التي تعني تفكيك رموز الرسالة وتحديد أبعاد كل لفظة-، وثمة نوع من العلامات التي لا يتحدد معناها إلاّ من خلال وضوح قصد المُرسَل، حيث لا يمكن للمرسل إليه أن يتلافى أو يتجاهل سطوة العلامة المفترضة أو المتوقعة أو لا يتجاوز العلامة الطبيعية، فالرمز مثلا علامة تقف عند حدود المرسل لولا تدخل القصد الذي ينقلها من حيز إلى آخر أي من اللا معنى إلى المعنى الحقيقي للكلمة، وهي

إستراتيجية يستخدمها المرسل لتجسيد المعنى للغة، ينسحب هذا على كل الكلام الذي نتلفظ به، وعلى الرموز التي نستعملها في كلامنا، ونشاهدها في الطبيعة، ويعمل كل واحد على تأويلها بما يقدر عليه من تصور ذهني، وكل ما نحاوله نحن أو المرسل للخطاب هو توسع أفكارنا لتسع حيز الثقافة الإنسانية، وهذا "التماهي الضمني الذي يقتضي الاستمرار في الكتابة سعيا إلى إنشاء نص جديد مختلف بالحوار الإبداعي الذي يصل اللاحق بالسابق، ويوسع أفق الرؤية بالمدى التناصي الأكثر تعددا والأعمق دلالة والأبعد تدلالا"[7]، وإن كانت الحقيقة الموضوعية مفادها أنه عندما يكون المرسل إليه على درجة من الوعي والفهم، عندها يتضح القصد من كلام المرسل، وبالتالي يكون لهذا الأخير دور في تقنين وتوجيه النقاش والحجاج الذي هو في هذه الحالة لا يسمح له بالتكلم إلاّ على المقصود من كلام المرسل، ولا يستطيع الخروج عن مراد الكلام كما لا يمكن له أن ينزاح عن المعنى المقصود الذي يتضمنه صريح الكلام...ولقد "تُوفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب مما يصوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو حتى تنفيذها بأريحية وإذا كان الحجاج في غير هذا الاتجاه فقد يكون مآله الانقطاع بينهما، لعدم وجود الفهم والإفهام بينهما، الناتج عن عدم وجود خاصية الإقناع القوية، وقد قيل إن عجوزا شكا ألما في ساقه فعندما فحصه الطبيب قال له: هذه آلام طبيعية وهي ناتجة عن كبر السن، ولكن العجوز لم يقتنع بهذا، وقال للطبيب بخطاب ساخر لو كان الأمر كذلك، لآلمتني ساقي الأخرى فإن لها نفس سن الساق التي تؤلمني"[8].

حيث لا يتجسد القصد إلاّ باللغة التي جُعِلت عليه دليلا، ولذلك وضع الله تعالى الألفاظ جسورا بين الناس لغرض التواصل والتفاهم والإقناع قال تعالى: "خلق الإنسان علمه البيان"[9]، وتتفاوت المعاني بتفاوت المقاصد وإن كان هناك من يرى أن المقاصد هي المعاني نفسها قال تعالى: "وعلى الله قصد السبيل"[10]، أي على الله تحديد وتبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، وفي هذا المعنى تحدث الإمام الشاطبي ومن المتأخرين الطاهر بن عاشور[11]، فالحجاج يوجد حيثما وُجدت اللغة، فمثلا على مستوى الخطاب الشعري فهناك شعر حجاجي، وشعر غير حجاجي، وهذا الأمر يدعمه ويناصره حازم القرطاجني الذي يرى بأن الشعر يُستخدم للإقناع، فعندما يتوخى الشاعر في لغته الإقناع فثمة سلطة لكلامه وقوة ينبغي على المتلقي أو المرسَل إليه أن يعيها. كما ينبغي على الحجج أن تكون مناسبة للسياق الذي قيلت فيه لأن من شروط الحجاج التناسب بين

الحجة والسياق، ولا يكفي صدق الحجج في ذاتها، وقد قيل أن امرأة قالت لزميلتها أن زوجها شخصية مهمة في المجتمع لدرجة أن الطائرة لا يمكنها الإقلاع بدونه، فظنت المرأة أنه ربان الطائرة أو أي شيء آخر، ولكن الحقيقة أن الرجل عامل بسيط في المطار، يلوح بالعلم عندما تهم الطائرة بالإقلاع، أو أن يرفع بعض الحواجز، أو كذلك الرجل الذي أراد أن يخطب فتاة، فأخذ يصف نفسه بأنه مهم لدرجة أن الناس يصفقون له عندما يرونه، فظن أهل الفتاة بأنه شخصية مرموقة في المجتمع، ولكنه اتضح أن كان نازلا في أحد المطاعم، وينبغي كذلك أن يكون الحجاج خاليا [خلوا] من الإيهام والمغالطة، لأن ذلك يثير كثيرا من اللبس والغموض، وينبغي كذلك أن يكون المرسِل على ثقافة واسعة بالمجال الذي يدور فيه الحجاج مثل المجال السياسي أو الديني أو النقدي، لكي يستطيع أن يتلون بتلون المواقف ولا تخونه الحيل في الاعتراض، أو الدفاع، أو البناء، أو اختيار حججه، وهذه الأرصدة المعرفية قد تمكن المرسِل من الإقناع واستدراج المتلقي نحو فهم ما يقول.

وللحجاج تقنيات كثيرة لأن الخطاب الحجاجي يتوقف على الملفوظ، بل قد يكون بالتلميح أيضا، وقد يزاوج المرسِل بين الضربين في آن واحد، وعلى المرسل إليه أن يحرك الشفرات التي وصل بها الخطاب من أجل الوصول إلى المقاصد، واستخراج المسكوت عنه، وقد يذكر المرسل حججا تقديرا للمرسل إليه وجوابا لما قد يتخيله من أسئلة. فكثيرا ما يتردد في كتب النقد وفي المداخلات المعرفية مقولات متعددة حول النص، والكاتب والبيئة والسيرة وغير ذلك. ولكن هل يمكن أن يكون -الكاتب قارئا لنصه؟- أو أن يكون -الكاتب مالكا لنصه؟- أو أن يؤخذ الكاتب -الكاتب مأخوذ بنصه- لا نحرمه من الملكية ومن المتعة الذهنية أو العضوية، ولكن هل الكاتب يشعر بحقيقة ما يكتب؟ وهل يدرك موقعه ككاتب؟ وهل يعرف ما لديه من أوهام وأفكار؟ أو هو ليس كذلك إلاّ في حدود ما يقوله الآخرون؟ فالكاتب يعيش توترات الكتابة، ولا بد أولا أن ندقق في مرحلة ما قبل الولادة، فهل نستطيع معرفة كل الحالات الشعورية؟ بالتأكيد لا نستطيع ذلك، ولو حاولنا عبثا، وهذا (يوضح لنا حقيقة في غاية الأهمية وهي أن الكاتب يعيش أكثر من حالة ولادة لنصه، فقد تكون هناك مجموعة ولادات للنص الواحد سواء كان النص كبير الحجم أو صغيرا، وحسب نوعية موضوعه، فالكاتب بعيش توترات أو مخاضات فكرية أو أدبية، وقد تتقسط وتحتاج لفترات زمنية متقطعة حتى يكتمل النص على الورق)[12] حيث كان ذلك يرينا بأن عملية الإبداع عملية صعبة ومعقدة لما ينهال على الكاتب أو المبدع من وساوس وخيال أو سلطات وهمية ذهنية

قد تهيمن على تجربته، فهو مقابل هذه الوساوس يصنع ذلك العالم الذي ينادي فيه الأقاصي تارة، ويركن إلى المكائد القريبة منه تارة أخرى، بل قد يقع في مصيدة ثقافته أو أفكاره الشريرة، هو في النهاية يحاول أن يقدم حججا ويقنع القارئ المفترض الذي قد يقع تحت هوسه متسائلا عن المادة التي يقدمها لهذا الآخر المختلف...ولكن طبيعة التعامل مع هاجس النص ومغذياته هي التي تحدد من يكون الكاتب وكيف يكون النص؟ فبإمكان الكاتب أن يتخيل أو يتخير الكلمة كما يريد، وأن يمارس فيها الحزن أو السعادة والتعاسة والفوضى، فالنص فكرة أو مجموعة أفكار وتتابع حراك ذهني يتفاعل بالحجة والمهارات التي يملكها الكاتب، وينبغي أن يكون ولوعا بصناعة الأسئلة وهكذا تجيء مقدرة الكاتب في كونه عبر عن شعوره عبر مدارات البحث عن خلاص النص من الترهات التي قد تصيبه، فالملاحظ مما سبق أن سلطة الكاتب لم تتكشف من خلال النص حيث أصبح من المتعذر تبني المقولات المتعلقة به وتبني الأطروحة القائلة بوجوب النظر إلى المبدع على أنه جزء من النص، فقد يظهر للوهلة الأولى أنه جزء منه لكن لا يمكن الاهتمام بكل التحولات التي قد تطرأ على نصه...فقد يتطاول النص على صاحبه لو أعاد قراءته! ذلك لأن الملفوظات والحجج المعتمدة كانت ظرفية ولذلك لا نستطيع أن نلاحظ أن الكاتب بمكن أن يكون صاحب سلطة إذا أعاد قراءة نصه مجردا من كل دواعي الذاتية متطلعا إلى استباق حاضر النص "فترة الكتابة" باستخدام صيغة الماضي -تحديد الحالة القبلية- وصيغة المستقبل - قراءة النص ونقده- وهذه النقاط هي في الواقع نقاط إحالة على موضوعية وديمومة النص، هناك فقط يستطيع أن يحقق لنفسه ما يسمى: المتعة الجمالية[13]، التي تباينت حولها الآراء والأفكار، فمنهم من يجعلها أمرا ثانويا لا يُعول عليه في العمل الأدبي، وهو ما انفرد به النقد الماركيسي مخالفا الحركات النقدية التي يميل بعضها إلى جعل المتعة الجمالية غاية في ذاتها، وبعضهم يقرر لها وظيفة ينبغي أن تؤديها في عملية التلقي بوصفها عنصرا فعالا في هذه العملية، وإلى هذا الرأي يميل أصحاب نظرية القراءة إذ يقرر أحدهم: أن المتعة الجمالية تتضمن لحظتين: الأولى تنطبق على جميع المتع حيث يحصل استسلام من الذات للموضوع، أي من القارئ للنص، والثانية تتضمن اتخاذ موقف يؤطر -به القارئ- وجود الموضوع ويجعله جماليا...[14].

ثمة نوع من التماهي يحدث بين النص وصاحبه، وبين القارئ وما يحمله من قوانين وأعراف، وهذه أمور وقضايا قد ذكرتها " نظرية التلقي " أو "جمالية التلقي" وهي: في الحقيقة

لا تراهن على حركة " النص" بين كاتبه ومتلقيه أو بين مؤلفه وقارئه[15]، فالأول مقيد بعامل الخوف غالبا، والثاني ليس لديه ما يعطله في أثناء تلقي النص، وهو مدمن على المغايرة والاختلاف لصاحب النص هذا. هذه القضايا اضطلعت بها البنيوية في القول "بموت المؤلف"، " سجن النص "، "إهمال حركة التاريخ"، وهي أخطاء جاءت الاتجاهات اللاحقة أو ما يسمى بما بعد البنيوية (القراءة والتلقي والتفكيك والتأويل والسيميلوجيا) لتصحيحها ببساطة، يبني المؤلف - عندنا في العربية تداخل بين لفظتي مؤلف وكاتب - نصه، وببساطة يوهم نفسه أنما يبنيه يخصه وحده وليس أيّاً كان، وهو يحاول أن يحفر اسمه في واجهة النص أو البناء الذي بناه، وعندنا أن هذا ادعاء لأن الكاتب أو المؤلف وهو يكتب تقابله انفتاحات على نصوص أخرى مخزنة، فهو إذ يؤلف بين الأشياء بطريقة تضمن له تفعيل الحجاج أمام متلقيه (فالمؤلف الحق هو الذي يغيب بدوره في نصوص الآخرين، حيث تصبح كل دعوى المثالية والتفرد والجدة التامة قناعا آخر من أقنعة تمثيل لصورته)[16]، علما أن المخيال الاجتماعي والتاريخي والنفسي للناس ينظر إليه على أنه مختلف، وأنه شخص يختلف عن غيره، وأنه خالق متفرد ولكنه - في الواقع - صدى لمؤلفين سابقين عليه . وكل من يؤمن بفرادته الشخصية فهو مبدع مزيف تنقصه الدربة والحكمة والتروي، إذ ثمة من النصوص أو قل الأفكار ما هو مبثوث في ذات كل منا، ومتجذر في أعماقها، وعادة ما يختلط هذا الأمر بوهم يتشكل في صورة قهرية تجعلنا عاجزين عن أن نقول بحرية مواقفنا وأحكامنا وحججنا، ولا نستطيع إقناع من حولنا، في جميع خطاباتنا " الاجتماعية، النفسية، الدينية" فيأتي الكاتب أو المؤلف بخبرته ليجمع شتات المعاني الغائبة لدينا، إذ الغائب لدينا ليس في عدم وجوده، وإنما في عدم الانتباه إليه، فالمؤلف بهذه الطريقة سيمارس سلطة التجميع والاستنطاق والتفعيل لتلك الأفكار الشاردة أو الغائبة والمستعصية على الظهور ... نسأل في النهاية عن المعنى، وعن حالات الزيف التي تصيب المعنى عند التلقي والقراءة؟ وعن الصوت الغائب في ذواتنا ؟ ومن ذلك الانشطار النفسي خاصة الذي تتسبب فيه أصواتنا الغائبة؟ وعن الغاية من كتابة النص أولا، ومن ترويضه ثانيا؟ وهل هناك أسئلة تطرحها النصوص المؤلفة - جلجامش-، أنشودة المطر، الإلياذة، الأوديسة، ألف ليلة وليلة، الديكاميرون، والدون كيشوت، على التاريخ هل المؤلف يؤطر قناعات الآخرين أو يؤطر قناعته هو؟ هل وجدت نصوص محصنة وعصية عن النقد؟ ماذا تريد النصوص المنفتحة على الموت مثلا أن تقول؟، خاصة إذا كانت المعرفة التاريخية

ترتكز على شهادة الآخرين ليست علما بالمعنى الصحيح بل هي معرفة إيمانية كما يقول بول ريكور؟)[17] .وفيما يتعلق بمصطلح الخيال نجد أن هذا اللفظ ورد في القرآن الكريم بمعنى "الوهم" الناتج عن السحر، وفي الفلسفة الإسلامية قوة مصورة لها علاقة بالحس المشترك، وعند متفلسفة الصوفية يظهر مصطلح الخيال مرادفا لمصطلح العماء ليشكل نظرية ميتافيزيقية متكاملة في أصول الكون، ثم هو يستدعي القول بـ "الخيال المطلق" و"الخيال المحقق" و"الخيال المتصل" و"الخيال المنفصل"، ويظهر الخيال في الدراسات المعاصرة بمعنى "الحاسة الكونية"، وهو بالمعنى النفسي ملكة تستعيد بها صور الأشياء، وبالمعنى الصوفي: الطيف الظاهر المعروف لنا بالعالم المشاهد، لذلك يكون "الكون" في عُرف متفلسفة الصوفية مرادفا للخيال...يقول "موريس باورا" في كتابه "الخيال الرومانسي" (إننا عندما نستخدم خيالنا نجد في أول الأمر لغزا شائقا يتطلب حلا، ثم بعد ذلك تمكننا تصوراتنا الخاصة في عقولنا من رؤية الكثير مما كان يكمن في الظلام أو العقل ...)[18]، هل بالخيال الذي يفترض أنه يميز الكاتب أو المؤلف عن غيره نستطيع اكتشاف معنى النص؟ وهل تلك التصدعات التي يثيرها المؤلف هي التي تساهم في بناء الحجة والإقناع؟ وهل المكاشفة التي يقوم بها المتلقي للنصوص هي التي تقوم بردم الفجوة بينه وبين المؤلف؟ هل ثمة طرق في كيفيات إنتاج المعنى أو هل ثمة تبدل طال الموقف من المعنى؟ وماذا عن سطوة المؤلف وخضوع القارئ؟ إذا ليس يخفى على أحد أن الكاتب أو المؤلف تنازعه الشواهد، وهذه الشواهد يكون للخيال الدور الكبير فيها، كما أن التفاوت كبير بين كاتب وآخر في الأفكار، وفي قدرته على تعزيز ثقتنا به، إذ إن الإشكالات الفكرية أو النقدية أو الأدبية، وما يمكن إثارته من أسئلة من داخل هذه الأفكار أولا، ومن التصدعات المحيطة به - بقصد أو عن غير قصد- ثانيا ومحاولة تحريض القارئ ومشاركته في الدخول معه إلى عالم النص لأنه يؤمن منذ البداية بأن كل نص يقول حقيقة كاتبه بأكثر من معنى كما يقال، فهو يستميل هذا القارئ لاكتشاف واحد من هذه المعاني وقد (لا يستطيع القارئ كذلك متابعة نص معين، لا لأنه صعب، بقدر ما يشكل نصا عجائبيا لا لحضور العنصر الخيالي فيه، وإنما لكونه نصا يضيع فيه القول المنشود، حتى ولو قام على مرتكزات قولية "شواهد مختلفة"، إنه نص عقيم ومثير للغثيان أحيانا، نص لئيم، كون النص المذكور يسترق من القارئ وقتا، ويثير فيه أفكارا من البداية ولكنه يحبطه بعد ذلك، والقارئ الراهن وهو يتابع ما يكتب هنا وهناك عربيا، لا يخفى عليه هذا الجانب الكارثي، حيث لا يكون الكاتب عبئا ثقيلا على ما

يكتب على الكلمة ذاتها بل ويسيء إلى الشاهد نفسه والثقافة التي يدعي تمثيلها كذلك) [19] فهذا التفاوت لا يمكن أن يكون إلاّ بتلك الملكة العظيمة المتمثلة في " الخيال" الذي يستطيع أن يدمر ويخرب، كما يستطيع أن يحقق مكاسب معرفية، ولذلك يمكن الإمساك بالخاصية الأقوى فيه تلك التي تتوسط القارئ والمؤلف حيث يكون النص جسرا للتواصل والإدراك بينهما، وحتى لا يتماثل التناقض في طرح " الخيال" كقوة مهيمنة على المؤلف والقارئ معا، نعمد إلى القول (بأن الخيال هو المنفذ الأعظم لتصور الكون، ومحاولة التفاعل والتجاوب مع مثيراته بقصد أنسنته أو جعله مألوفا، فإن ذلك يعني بالمقابل أن الإنسان ليس بوسعه العيش دون خيال، كون هذا يشكل العنصر المهم الذي يتجذر في داخله، ويلهمه قوة تواصل مع المحيط الخارجي، قوة ذاتية خاصة به ... يمكن أن نرى علاقة الخيال بما وراء حدود الوعي الإنساني الملموس فمن خلاله يستطيع وعلى أكثر من صعيد مخاطبة المجهول، حتى ولو عجز عن الإحاطة به، ما دام المجهول يشكل فضاء أوسع من كل ما يعرفه، بل الذي يعرفه يكون لعنصر الخيال فيه دورا كبيرا) [20] .

يمكن أن نستشفَّ من خلال الطرح السابق عملية إعادة إنتاج بنى وأنظمة معرفية ستوحي بترابط ذات المؤلف وذات قارئه باعتبار النشاط الذي يقوم به هذا الخيال في تحديد معالي النص، فالنص سيحيل حتما إلى دلالات: تاريخية، دينية، اقتصادية، أدبية، نقدية، وهو غير معزول عن هذه السياقات التي يتكفل بها القارئ أثناء تلقيه لهذا النص. باتجاه غير المعقول أو باتجاه غير المألوف ثانيا فهل اللامعقول اللامتوقع؟ وهل اللامرئي حالة طبيعية لتحديد المألوف واللامألوف؟ كيف نحدد الآخر المتخفي في النص؟ المعنى الغائب في النص هو هاجس النقد أو هاجس الكاتب ؟ هل يمكن القول بأن النقد نوع من السخرية التي تعتبر الآخر " صاحب النص " فاقدا للكرامة مذموم الحال؟ كيف يكشف النص عن دلالات الوعي لدى صاحبه؟ بمعنى هل النص يثبت ذات صاحبه؟ وهل الرموز التي تبطن أغلب النصوص تكشف عن المسميات المقصودة؟ ما هي - في النهاية - الحجج التي تضمن لنا ضمن هذه المفارقات تحقيق المعنى الغائب للنص؟ ننطلق لملامسة هذه الأسئلة وغيرها من أن الكاتب أو المؤلف للنص يكون منفيا منذ (البداية، إنسان متهم، ليس المهم نوع الاتهام أو الجهة التي تتهم، لأن ذلك شيء لاحق ومتعدد، وشديد التباين أيضا) [21] ليس ذلك فقط ولكن هناك نتائج ترتب قد تقوى على تحمل تبعية القارئ لمؤلف النص، وقد تكون هذه النتائج اكتشافا لقضايا ومقاصد ومكاسب لم يصرح بها؟ أو هكذا جاءت عرضا اغتنى بها

التحليل في نهاية المطاف . وهذا لا يعني أن دور النقد يتطلع إلى (طرح أسئلة صعبة أو يعرض بضاعة نظرية، تروج حينا وتكسد حينا آخر، بل يتعين دوره ببحثه عن كتابة فاعلة في التحويل الاجتماعي ... ومهما كان شكل النقد، فإنه يبدو أبدا بين طرفين، من أجل الوصول إلى وضوح مشترك، يشارك في صياغته الطرف الأول، كما الثاني) وهذا ما يجعل الحوار يتجاوز ذاتية المتحاورين، ويفيض عنها، لأن(الواقع الموضوعي المطلوب تحويله هو المرجع الوحيد الذي يفرض صياغة الأسئلة والتنقيب عن إجابتها)[22] لذلك فهل نمارس النقد أو التهريج في ظل واقع عربي مضطرب؟ ويبدو أن النقد الأدبي العربي قلق، لأنه لا يبدأ بالكلمة ولا يعترف بها، لأنه لا يذهب إلى محاسن اللغة، ولا إلى الصياغة، بل هو يحاصر نفسه بالسياسة وأشياء أخرى لا علاقة لها بالنقد مما يبعده عن الواقع، ويصبح النص لا واقع ولا مكاسب له، من أجل ذلك لا نتوقع أن للخطاب النقدي العربي أي توصيف، وأي تحويل للفاعلية الاجتماعية، وهو نوع من التضليل لسطوة المؤلف، وسطوة الواقع لذلك يمكن لمن (يتملى الراهن الإبداعي العربي أن يلاحظ أن السطوة التي يمارسها المؤلف أحيانا، هي التي تدخل الضيم على النص وتحد من أدبيته، لاسيما أن السطوة لا تأتي اتفاقا ولا تكون صدفة، بل ترد بمثابة الصدى المباشر لانشغال المؤلف بقارئه المفترض وحرصه على إفادته وتوجيهه وتعليمه واستنهاضه للفعل . لذلك لا تتراءى صريحة بل تتلبس بكيفيات تعالق الملفوظات وتوالد الصور والرموز. إنها بمعنى آخر تشغل من الكلام مناطقه الصامتة التي طالما تقع الإحاطة بها يتبين أن السطوة ليست صادرة عن قوة تمارس إرادتها، بل هي كل سطوة، إنما تصدر عن الخوف والذعر، والخوف من ضياع المعنى أو تلاشيه، والذعر من احتمال التباسه في ذهن المتلقي)[23] . وكأن النصوص الإبداعية اليوم طلاسم لا تمتد إلى الجاهلية، بل إلى العصور البدائية التي كانت تقدس الأساطير والخرافات، أو أنها ترتاد معجما مستورا متخفيا عن المتلقي، الأمر الذي يجعلها تلامس اللامنطق واللامعقول معا، فهي نصوص ساحرة .

فالنص الصوفي مثلا بغربته ورموزه وتعميته وصوره وإشاراته يجنح إلى هذه الواجهة الغامضة المقلقة، ويدخل في متاهات يواجهها القارئ بالذعر والخوف والرفض، هي إذا غربة متقطعة فلا هو يعتادها، ولا هي تفارقه، فينصرف عنه - النص - لغيره من النصوص التي تحاول أن تجيب عن الواقع، فالقارئ من هذه الناحية يعيش حالة من الإرباك والحيرة إزاء ما يعرض أمامه، لأنه أمام مشكلة تأويلية، وسواء " أكنا أمام كفاءة مشكوك فيها أصلا أو

كفاءة استثنائية فإننا إزاء مشكلة تأويلية شائكة هي حدود التأويل، ونعني به الآفاق القصوى التي يمتد إليها تدبر القارئ[24]، وهنا تفضح الهجرة إلى عالم الداخل لدى القارئ عالما آخر أكثر وحشية ظلاما، لأنه -القارئ- مدفوع إلى المجهول بالرغبة الخفية والدهشة واللامنطق، هذا الانتهاك يفتح آفاقا أمام المتلقي ليقول شيئا قد لا يتوافق مع منطقه هو وعاداته، أو قد يندهش أمام الخروقات التي قام بها الكاتب من مثل تدنيس المقدس فتتهدم عوائق الحرية أمامه، ويتهدم العالم القديم، الحديث عن -الجنس- مثلا هو (أداة للتجاوز وخلخلة للسائد وتقويض سلطة المحظور والخروج منه إلى واقع ميتافيزيقي، لأن الاستغراق في الجنس ينقل الإنسان إلى عالم آخر بعيد، متناسيا ذاته المادية الواقعية)[25]. إذا هذا التجريد وهذه الرموز التي تتنوع بتنوع الموضوعات، وهذه اللغة المضغوطة المشفرة المكثفة هي التي تتفق مع أفكار الكاتب من جهة، وأفكار القارئ أو بغية القارئ من جهة ثانية، إذ ليس ثمة تعارض بين كاتب وقارئ إلا في التبريرات أو في الدلالات المركزية والهامشية، وفي الإحالة والإيحاء وفي العوامل العاطفية للقضية المطروحة للنقاش.... وفي الأخير نقول: هذه هي نتائج ما يشاع عن الحجاج في علاقته بالمعنى، بمعنى أنه ليست هناك حدود صارمة بين الكاتب والقارئ، إلاّ في تبريرات الأول والثاني أيضا، إذ لكل منهما مبررات خاصة به في انتقاء المعنى، وفي تحصيل الحجة، ولا شك أن هذا التبرير فيه كثير من الصحة، لأنه ليس هناك أحد ينكر الاختلاف بين القارئ للنص والكاتب له، فكل النصوص التي تعرض إنما هي تتشكل وفقا لثلاثة أوجه "الوجه الذاتي"، "الوجه النصي"، "الوجه الخارجي"، ومقدار الفهم لا يستطيع أن ينفي أو يتجاوز هذه الأوجه، لأن فيها تتشكل المبررات المنطقية والحجاجية لتأكيد المعنى والتركيز على مسألة الإقناع، لأن النقد لا يستطيع بلوغ اليقين مهما حاولنا تعديلا في آرائنا وكذلك الأدب لا يمكنه ذلك إلى بالقدر الذي يوهم المتلقي بالصواب، فالمعرفة نسبية وعفوية. ومع ذلك فإن القارئ في حاجة إلى عوامل عديدة لفهم حديث الكاتب مثل المساق الثقافي والاجتماعي وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقيا أو عرفيا، فالمعنى اللغوي لا يدلل وحده على المعنى المفهوم أو المقصود[26]، فالمعنى اللغوي هو ذلك المعنى المفهوم من طريق اللغة وحدها، والمعنى المقصود هو المفهوم من القولة المستخدمة في ظل عناصر المساق، وقد انتبه أعلام التراث لهذا الفرق، إذ أنهم بالإضافة إلى تفريقهم بين دلالة المنطوق ودلالة المفهوم الذي يتصل بهذا التفريق اتصالا وثيقا نراهم يستشعرون الاختلاف بين هذين النوعين من المعنى بوضوح كبير، ما لم يعرف القارئ هذه

المساقات والقرائن: هذا التبادل البناء بين كاتب وقارئ هو الذي يمَكن من معرفة الجوهر العام للنص، ويعالج تلك التصدعات التي قد تصيب النص. ويجدر بنا أن نقول في آخر هذا البحث أن مصطلح الحجاج بمفهومه الواسع يتلاقى مع مختلف العلوم اللغوية، الأدبية، التاريخية، الاجتماعية، ومع كثير من النظريات أو التصورات الحجاجية التي قد تعد الحجاج منتميا إلى حقل البلاغة الكلاسيكية العائدة إلى زمن "أرسطو" وقد تعد منتمية إلى البلاغة الحديثة من جهة "ميشال مايير".

إن نظرية الحجاج على تغاير أقطابها يرجع البعض مصدرها إلى ذلك العالم اللغوي الفرنسي " أوزفالد ديكرو " منذ سنة 1973، وهي في عمق مضمونها تعد نظرية لسانية تهتم بالمسائل اللغوية ومكوناتها الطبيعية التي قد يتوصل إليها الباحث اللغوي من بحوثه المستمرة بغية الوصول إلى ما يحقق أهدافه الحجاجية بقصد التأثير في مجريات الأحداث الاجتماعية، بحكم أن هذه النظرية تعمل في عمقها على توضيح العلامة اللغوية والأدبية التي هي تحمل في عمقها صفة ذاتية جوهرية: إنها الوظيفة الحجاجية التي لها مؤشرات متنوعة وعديدة خاصة في حقل بنية الأقوال نفسها.

إن مصطلح الحجاج قد تتعدد دلالاته تبعا لمختلف البراهين والاستدلالات المنطقية المختلفة. وينبغي أن نشير هنا إلى أن نظرية الحجاج في اللغة قد انبثقت أساسا من عمق أو رحم نظرية الأفعال اللغوية... إن الحجاج قد يفرض على المخاطب خطابا أو نمطا محددا من النتائج القانونية المنطقية باعتبار أنه محاولة تقديم الأدلة القوية المؤدية إلى نتيجة منطقية إيجابية معينة ومحددة، وهذه لا تتحقق إلاّ بواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها أو تلك الحقائق العملية الأدبية والنقدية التي تعمل في حيزها ومجالها ذلك، وزيادة على ذلك فإن مصطلح الحجاج في وظيفته قد يتداخل مع مصطلحات أخرى كالبرهنة والاستدلال والتقصي الدال على الحقيقة، وذلك لبيان أثره في تحديد صياغة القول، وكذا في إعادة إنتاجه، وذلك اعتمادا على تقديم الحجة والدليل والبرهان لدعم دعوة ما أو نقدها، وهذا وفق ما جاء في تصور بعض رواد الغرب من إحداث التأثير المؤدي إلى الفعل...وهو بذلك ينطلق من تفعيل الفكر بغية الوصول إلى تفعيل العمل حقيقة، مادته في ذلك أو وسيلته هي إحداث التأثير في ذهن المتلقي، لذلك فالحجاج يعني ذلك السور الذي يقوم على أساس ارتباط الحجاج بغاية حمل المتكلم على إخضاع المخاطب للإذعان لها، وهذا يعني أن الحجاج يُعد وسيلة لفظية يشكلها ذلك الكلام القوي المؤثر في المخاطبين

ودفعهم إلى الإذعان لذلك الفعل الذي تصاحبه الأدلة المقوية، وهذا ما يجعل الحجاج يتصل بسبب وثيق بحقول معرفية متعددة، المبنية على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي تمكن المحاج من بناء حجاجه ذلك، إن مقدمات الحجاج القوية قد تجعل ذلك نقطة انطلاق فعلي للحجاج القائم على أساس الوقائع والحقائق الافتراضية، وكذا المواضع الواقعية التي من شأنها أن تكون صالحة لتأسيس نقطة البداية، بحكم أنها قد تكون أداة جمع لمجموعة أشخاص، وقد قيل بأن التسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس تجاوبا كاملا ما لم تتجاوب معه عموم الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا غالبا، وما قد يجعل هذا مقبولا هو أن الانطلاق الفعلي للحجاج من خلال الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، المواضع، وكل هذه بحكم أنها ثابتة فلا شك في كونها تصلح لتأسيس نقطة الانطلاقة بحكم أنها تمثل ما هو قائم ومشترك بين عدة أشخاص فأصبح قاسما مشتركا بين مجموعة من الناس، والحقيقة أن التسليم بالواقعة لا يكون له اعتبار قوي إلاّ إذا حصل تجاوب كبير معه من قبل غالبية الخلق، إذ الواقع الفعلي الاجتماعي يقضي إجماعا كونيا من الأغلبية، وهذا بحكم الواقع الاجتماعي العملي، إذ إن التسليم القوي بذلك يكون في إطار الخطاب ولا يكون واقعيا فعلا ما لم يكن مدعوما بقوى مادية ومعنوية قوية تدعمه. ولعل عنصر القيم من أهم عناصر القوة الأساسية التي قد تجعل من عنصر الحجاج أصلا في الاهتمام، فباعتمادها قد تتغير عدة مواقع اجتماعية وحتى سياسية وهذا بحكم أن الافتراضات ليست آلية ثابتة، بل قد تحدث عوامل قوية تجعلها متغيرة تبعا للوسط الاجتماعي أو غيره لمختلف الفئات الاجتماعية، وما يزيد في تقوية أواصر المجتمع هو تلك الثقة بين عموم المتحاورين، وإلى جانب هذا هناك عنصر أساسي آخر في إحداث التغيير الاجتماعي، هو عنصر القيم التي لها دور بارز تحذف يعتمد عليه في تغيير المواقع الاجتماعية، وبذلك قد يتحقق المراد الاجتماعي...وما هو ثابت اجتماعيا أن الحجاج يعتبر ظاهرة فعالة مؤثرة في المجتمع بحكم أنها متجسدة في عموم الخطاب. لا شك أن الحجاج يعد مقاربة مهمة بليغة ملقاة على عاتق اللسانيات العامة وكذا التداولية...قد يعتقد البعض أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي الفعلي يكون من خصوصية التداولية فإن لهذا الزعم والاعتقاد ما قد يبرره ويجعله ثابتا، حيث نجد أن الخطاب الحجاجي يخضع علميا ظاهريا وباطنيا واقعيا لقواعد ضوابط القول وكذا التلقي، على أساس أن كل خطاب حجاجي قد تبرز فيه خصوصية القصدية الفعلية والتأثير والفاعلية وبذلك تصبح قيمة

ومكانة الأفعال، حيث بذلك يتولد النص الحجاجي ويصبح في مجال التداوليات، وبالمقابل مع هذه التداوليات قد يتولد عن ذلك ما يسمى بالمقاربة اللسانية التلفظية العملية لها ولهذا فقد عملت هذه المقاربة على معالجتها كظاهرة لسانية نصية. ولذلك فقد اعتاد اللسانيون النظر في الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوفر على خاصيات بنائية وبراغماتية تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات المختلفة، سردية، حكائية، إخبارية[27]... ويمكننا أن نقول هنا إن دراسة الحجاج خاصة في الخطاب الحجاجي اللفظي، هو شأن التداولية المتعلقة بالخطاب الحجاجي الذي في حقيقة أمره قد يخضع في مختلف الأحوال لضوابط ومعايير القول، والتلقي إذ إن كل خطاب حجاجي قد تبرز فيه القصدية والتأثيرية والفاعلية، كما تبرز فيه قيمة ومكانة أفعال الذوات متخاطبة، إذ ذاك يظهر حقيقة تحديد انتماء النص الحجاجي، الذي مجاله التداوليات. إن أي عملية حجاجية ستتوسل حتما بآليات متعددة، يتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المعنيين، كل هذه التقنيات الجديدة في علاقة المتكلمين بالمخاطبين، وبالمقام تعد من نتائج التضافر بين البلاغة والبحوث الإنسانية المعاصرة التي أثبتت أن اللغة ليست أداة للتواصل فحسب إذ فيها تثوي أبعاد الوجود وحقيقته كما أنها الأقدر على استيعاب المناهج الأمبيريقية والاستفادة من بحوثها في التعبير عن الراهن وربطه بالسالف واللاحق في آن[28]، وإن كان ذلك التطور الذي مسّ مناهج الدراسة البلاغية قد جعل نخبة من الدارسين يعملون على تطويرها بما يتلاءم ورهان مختلف الخطابات والنصوص خاصة من زاوية المسائل التي تتقاطع فيه هذه الدراسات البلاغية والتي تتميز بتقنية وخاصية الإقناع، ولتحقيق هذه الأغراض لا بد لها من حجاج يتسم بممارسة لفظية اجتماعية عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرز الدعوة هي: طرح السؤال، سرده بناؤه حججه، ومطابقتها مع السؤال[29]، وبإمكاننا أن نقول: إن الحجاج في واقعيته وحقيقة تداوله يدخل في صلب المناظرة حيث لا يُتصور وجود مناظرة بلا حجاج، فهو الذي يُثبت وجودها من خلال دفاعه ومنافحته عنها ومناصرته لها، رغم أن صورها وأشكالها متعددة ومتباينة في دنيا الناس..وعادة ما تحدث معارضة الاستدلال بالحجاج الذي يقترب من حقيقة البلاغة والتي نعني بها ذلك الخطاب الذي له صلة بكل ما هو حقيقي صحيح، والمتسم بالحجة والمنطق. إن تلك المقارنة قد تضع الحجاج في زاوية اللامعقول واللامقبول مما قد يجعل الحجاج يجد صعوبة في التخلص من كل ما من شأنه أن يخضع لمختلف النظريات المتعددة

الاحتمالات والتي لا يجد العقل والمنطق لها سبيلا، لقد كان مفهوم الحجاج مستخدما لدى جميع فلاسفة العصور القديمة لتحديد فن الحوار -الديالكتيك- وفن الكلام "البلاغة" ..فإننا نجد الحجاج موظفا حيث عمد الفكر إلى المضاربة، وقد أثرت المضاربة على حياة مفهوم الحجاج موظفا حيث عمد الفكر إلى المضاربة، وقد أثرت بقوة على حياة مفهوم الحجاج التقلبات التي عرفتها عبر التاريخ ...ليعاني بالتالي على المقاربة التي تجمعه مع هذين المفهومين غير المنفصلين أو غير المحددين بصورة جيدة[30].

لا شك أن استخدام مصطلح الحجاج كوصف لمصطلح الاستعارة قد تداوله الأوائل بشكل دقيق حيث أدخلوا في ذلك ما يسمى بمفهوم الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة: التقرير، التحقيق، التدليل الذي قد يكشف عن آليات حوارية وحجاجية عملية في بنيتها الشكلية الذي من الممكن جعلها مركبة من أجزاء ومستويات مختلفة ومتنوعة. إن الخطاب الحجاجي ميدان ثري بالدراسات المتنوعة، وذلك لغناه التكويني، ولتعدد الأبعاد التي ينطوي عليها. الحجاج هو ممارسة لفظية اجتماعية عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرز الدعوة المعبر عنها في الموقف أو تدحضها[31] إن الحجاج القوي هو ذلك الذي يعتمد تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى تلك النتيجة الإيجابية المحددة والمقنعة. ومما هو معلوم أن الحجاج ينبغي أن يقدم الحجج المؤيدة لنظرته والمؤيدة لهن وذلك لإثبات نتيجة إيجابية معينة، وإلى جانب هذا فإنه كذلك يدخل في صلب المناظرة، ويتبوأ منها مكانا عليا، وهذا من باب أنه لا مناظرة بلا حجاج. وعيه فإننا نقول في الأخير إن الحجاج اللغوي يعد نسبيا ومرنا تدرجيا وسياقيا باعتبار أن العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تدعى "العلاقة الحجاجية" على أساس النتيجة المتوصل إليها وهي إقامة الحجة على صحة القول أو دحضه.

الخاتمة:

إن ما يمكن قوله في نهاية هذا المقال هو أن العوامل الحجاجية في حقيقتها قد لا ترتبط بين متغيرات حجاجية أو بين حجة ونتيجة أو حتى بين مجموعة حجج وهذا يستلزم وضع آليات حجاجية واضحة هي كما يلي:

1-المؤشرات الحجاجية: إن مختلف العوامل الحجاجية في حقيقتها قد لا ترتبط في مكوناتها بين متغيرات حجاجية أو بين حجة ونتيجة أو حتى بين مجموعة حجج، وذلك بحكم أنها قد تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي قد تخضع أو تنتمي لقول ما.

2-طبيعة اللغة: فلمّا كانت للغة وظيفة حجاجية كانت التسلسلات الخطابية محددة وذلك بواسطة بنية الأقوال اللغوية وأيضا بواسطة العناصر أو المواد التي قد تم تشغيلها، هذا ما أدى بها إلى امتلاك وظيفة حجاجية قائمة على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج.

3-أهم الروابط أو العوامل الحجاجية: فالمبادئ الحجاجية تعد مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات والتصورات المشتركة بين مختلف أفراد المجموعة اللغوية والبشرية المحددة، والكل مسلّم بصدقها وصحتها.

4-وظيفة اللغة الحجاجية: لا تكون عملية إلا إذا كانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية المتمثلة في مختلف العناصر والمواد التي تم تشغيلها، كل هذا يجعلها أداة لغوية خاصة بالحجاج، فهي تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي يمكن تعريفها بالإحالة وذلك بحكم قيمتها الحجاجية.

مراجع البحث وإحالاته:

1- باتريك شارودو: نحو المعنى والمبنى: الحجاج بين النظرية والأسلوب تر: أحمدالودرني، دار الكتاب الجديد، ط1، 2009، ص09

2-محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط1 2005 ص07.

3-المرجع نفسه ص08.

4-بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات. المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص21.

5-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2004، ص184.

6-المرجع السابق ص185.

7-مصطفى الكيلاني: فتنة الغياب، إلياس فركوح وإبداعية النص المتعدد، منشورات أمانة عمان الكبرى، دط 2005، ص88.

8-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2004، ص466.

9- سورة الرحمان: الآية 02.

10- سورة النحل: الآية 16.

11-عبد الرحمان إبراهيم الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضا ودراسة وتحليلا، دار الفكر سوريا، ط1، 2000، ص44 وما بعدها.

12- إبراهيم محمود: صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري حلب، ط1، 2000، ص36.

13- محمد عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي ط1، 1996 ص25 وما بعدها.

14- نفس المرجع

15- محمد عصفور: عالم المعرفة الكويت، العدد206، ، 1996، ص29، وإبراهيم محمود: صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري حلب، ط1، 2000، ص52 وما بعدها.

16- إبراهيم محمود: صدع النص وارتحالات المعنى، ص54.

17-بول ريكور: الزمان والسرد تر: سعد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2006، ص158 وما بعدها.

18- محمد شبل الكومي: المذاهب النقدية الحديثة مدخل فلسفي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2004، ص82 وما بعدها.

19- إبراهيم محمود: صدع النص وارتحالات المعنى، ص29.

20-نفس المرجع ص163.

21-عبد الرحمان منيف: الكاتب والمنفي المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط، 3 2001، ص79.

22-المرجع نفسه ص178.

23- محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيل، فضيحة نرسيس وسطوة المؤلف، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 2002، ص308

24- أسماء خوالدية: الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة، والإغراب قصدا منشورات الاختلاف، الجزائر منشورات ضفاف، ط01، 2014، ص146

25- سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ط01، 2008، ص308

26- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية ص140.

27-حبيب عراب: الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010، ج3، ص34.

28- سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج مفهومه ومجالاته، نصوص مترجمة، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010، ج2، ص176.

29- أوليفيروبول: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي. تر: محمد العمري، مجلة علامات في النقد، 1999، ص77.

30- عبد الهادي بن ظافر الشهري: الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010، ج1، ص76.

31-عبد العزيز حويذق: الحجاج مفهومه ومجالاته، نصوص مترجمة، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010، ج3.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. إبراهيم محمود: صدع النص وارتحالاتالمعنى، مركز الإنماء الحضاري حلب، ط 1، 2000.
2. أسماء خوالدية: الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة، والإغراب قصدا منشورات الاختلاف، الجزائر منشورات ضفاف، ط01، 2014.
3. باتريك شارودو: نحو المعنى والمبنى: الحجاج بين النظرية والأسلوب تر: أحمدالودرني، دار الكتاب الجديد، ط1، 2009.
4. بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات. المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001.
5. بول ريكور: الزمان والسرد تر: سعد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2006.
6. حبيب عراب: الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
7. سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج مفهومه ومجالاته، نصوص مترجمة، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
8. سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ط01، 2008.
9. عبد الرحمان إبراهيم الكيلاني: قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضا ودراسة وتحليلا، دار الفكر سوريا، ط1، 2000.
10. عبد الرحمان منيف: الكاتب والمنفي المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2001.
11. عبد العزيز حويذق: الحجاج مفهومه ومجالاته، نصوص مترجمة، عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.
12. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2004.

13. عبد الهادي بن ظافر الشهري: الحجاج مفهومه ومجالاته (نصوص مترجمة) عالم الكتاب الجديد، الأردن، 2010.

14. محمد العمري بلاغة المكتوب وتشكيل النص الشعري الحديث، مجلة علامات في النقد، 2001.

15. محمد شبل الكومي: المذاهب النقدية الحديثة مدخل فلسفي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2004.

16. محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط1 2005 .

17. محمد عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي ط1، 1996 .

18. محمد عصفور: عالم المعرفة الكويت، العدد206، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996.

19. محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيل، فضيحة نرسيس وسطوة المؤلف، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 2002.

20. محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، المنار الاسلامي، بيروت، 2007 .

21. مصطفى الكيلاني: فتنة الغياب، إلياس فركوح وإبداعية النص المتعدد، منشورات أمانة عمان الكبرى، دط2005.